@ 444 @) ^ أي : ^ (إن لكم في الأنعام) ^ التي سخرها ا لمنافعكم ^ (لعبرة) ^ تستدلون بها على كمال قدرة ا ، وسعة إحسانه ، حيث أسقاكم من بطونها المشتملة على الفرث والدم ، فأخرج من بين ذلك ، لبنا خالصا من الكدر سائغا للشاربين ، للذته ، ولأنه يسقي ويغذي ، فهل هذه إلا قدرة ، إلهية ، لا أمور طبيعية . فأي شيء في الطبيعة ، يقلب العلف الذي تأكله البهيمة ، والشراب الذي تشربه من الماء العذب والملح ، لبنا خالصا سائغا للشاربين ؟ وجعل تعالى لعباده من ثمرات النخيل والأعناب ، منافع للعباد ، ومصالح ، من أنواع الرزق الحسن ، الذي يأكله العباد ، طريا ونضيجا ، وحاضرا ، ومدخرا ، وطعاما وشرابا يتخذ من عصيرها ونبيذها ، ومن السكر الذي كان حلالا قبل ذلك ، ثم إن ا نسخ حل المسكرات ، وأعاض عنها بالطيبات من الأنبذة ، وأنوع الأشربة اللذيذة المباحة ولهذا قال من قال : (إن المراد بالسكر هنا : الطعام والشراب اللذيذ) وهو أولى من القول الأول . ^ (إن في ذلك لآية لقوم يعقلون) ^ عن ا كمال اقتداره ، حيث أخرجها من أشجار شبيهة بالحطب ، فصارت ثمرة لذيذة وفاكهة طيبة ، وعلى شمول رحمته ، حيث عم بها عباده ويسرها لهم ، وأنه الإله المعبود وحده ، حيث إنه المنفرد بذلك . ^ (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون * ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفآء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) ^ في خلق هذه النحلة الصغيرة ، التي هداها ا هذه الهداية العجيبة ، ويسر لها المراعي ، ثم الرجوع إلى بيوتها ، التي أصلحتها ، بتعليم ا لها وهدايته لها ثم يخرج من بطونها هذا العسل اللذيذ مختلف الألوان ، بحسب اختلاف أرضها ومراعيها ، فيه شفاء للناس من أمراض عديدة . فهذا دليل على كمال عناية ا تعالى ، وتمام لطفه بعباده ، وأنه الذي لا ينبغي أن يحب غيره ويدعى سواه . ^ (وا خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئا إن ا عليم قدير) ^ يخبر تعالى ، أنه الذي خلق العباد ، ونقلهم في الخلقية ، طورا بعد طور ، ثم بعد أن يستكملوا آجالهم ، يتوفاهم ، ومنهم من يعمره حتى ^ (يرد إلى أرذل العمر) ^ أي : أخسه الذي يبلغ به الإنسان إلى ضعف القوى الظاهرة والباطنة ، حتى العقل ، الذي هو جوهر الإنسان ، يزيد ضعفه حتى إنه ينسى ما كان يعلمه ، ويصير عقله كعقل الطفل ولهذا قال : ^ (لكيلا يعلم بعد علم شيئا ، إن ا عليم قدير) ^ أي : قد أحاط علمه وقدرته بجميع الأشياء ، ومن ذلك ، ما ينقل به الآدمي من أطوار الخلقة ، خلقا بعد خلق ، كما قال تعالى : ^ (ا الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم

جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير) ^ . ^ (وا فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برآدي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سوآء أفبنعمة ا يجحدون) ^ هذا من أدلة توحيده ، وقبح الشرك به ، يقول تعالى : كما أنكم مشتركون بأنكم مخلوقون مرزوقون ، إلا أنه تعالى ^ (فضل بعضكم على بعض في الرزق) ^ فجعل منكم أحرارا ، لهم مال وثروة ، ومنكم أرقاء لهم ، لا يملكون شيئا من الدنيا ، فكما أن سادتهم الذين فضلهم ا عليهم بالرزق ليسوا ^ (برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء) ^ ويرون هذا من الأمور الممتنعة ، فكذلك من أشركتم بها مع ا ، فإنها عبيد ، ليس لها من الملك ، مثقال ذرة ، فكيف تجعلونها شركاء تعالى ؟ هل هذا ، إلا من أعظم الظلم ، والجحود لنعم ا ؟ ! ! ولهذا قال : ^ (أفبنعمة ا يجحدون) ^ فلو أقروا بالنعمة ونسبوها إلى من أولاها ، لما أشركوا به أحدا . ^ (وا جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة ا هم يكفرون) ^ يخبر تعالى ، عن منته العظيمة على عباده ، حيث جعل لهم أزواجا ، ليسكنوا إليها ، وجعل لهم من أزواجهم ، أولادا تقر بهم أعينهم ويخدمونهم ، ويقضون حوائجهم ، وينتفعون بهم من وجوه كثيرة ، ورزقهم من الطيبات ، من المآكل ، والمشارب ، والنعم الظاهرة ، التي لا يقدر العباد أن يحصوها . ^ (أفبالباطل يؤمنون وبنعمة ا هم يكفرون) ^ أي : أيؤمنون بالباطل ، الذي لم يكن شيئا مذكورا ، ثم أوجده ا ، وليس له من وجوده سوى العدم ، فلا تخلق ، ولا ترزق ، ولا تدبر من الأمور شيئا ، وهذا عام لكل ما عبد من دون ا ، فإنها باطلة ، فكيف يتخذها المشركون من دون ا ؟ ^ (وبنعمة ا هم يكفرون) ^ يجحدونها ، ويستعينون بها على معاصي ا والكفر به ، هل هذا إلا من أظلم الظلم ، وأفجر الفجور ، وأسفه السفه ؟ ! ! ^ (ويعبدون من دون ا ما لا يملك لهم رزقا من السماوات والأرض شيئا ولا يستطيعون * فلا تضربوا الأمثال إن ا يعلم وأنتم لا تعلمون * ضرب ا مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد بل أكثرهم لا يعلمون * وضرب ا مثلا رجلين أحدهمآ أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه